

أعضاء البيان

@ 179 @ \$ 1 (سورة لقمان) \$ 1 .

7 ! 7 ! قوله تعالى : { الم * تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ } . قد قدّمنا الآيات الموضحة لقوله : { هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ } ، في أوّل سورة (البقرة) ، في الكلام على قوله تعالى : { الم * ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } . { وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَوَلَّيَ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنّٰ فِي أُذُنَيْهِ وَقُرَءَ فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } . ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكافر إذا تتلى عليه آيات اللّٰه ، وهي هذا القرآن العظيم : { وَلَّيَ مُسْتَكْبِرًا } ، أي : متكبرًا عن قبولها ، كأنه لم يسمعها { كَأَنّٰ } في أُذُنَيْهِ وَقُرَءَ { ، أي : صممًا وثقلًا مانعًا له من سماعها ، ثم أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يبشّره بالعذاب الأليم . .

وقد أوضح جلّ - وعلا هذا المعنى في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى : { وَيَلْ لَّكَ لَ }
 أَفْوَكَ أَثَرِيْمٌ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللّٰهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُّ
 مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذَا عَلِمَ
 مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ *
 مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا
 اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللّٰهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } ، وقد قال تعالى
 هنا : { كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهُ فِي أَوْحَانٍ } ، على سبيل التشبيه ، وصرّح في غير هذا
 الموضع أنه جعل في أذنيه الوقر بالفعل في قوله : { وَمَن أَعْطَاهُ مِمَّنْ ذُكِّرَ
 بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا } ، والظاهر أن الوقر المذكور على
 سبيل التشبيه الوقر الحسّي ؛ لأن الوقر المعنوي يشبه الوقر الحسّي والوقر المجعول على
 آذانهم بالفعل ، هو الوقر المعنوي المانع من سماع الحق فقط ، دون سماع غيره ، والعلم
 عند اللّٰه تعالى .